

الحس الوطني و القومي في ديوان "أغنيات نضالية" لمحمد الصالح باويّة

أ. طه حسين بن عشورة
جامعة الجزائر 02

ملخص:

لقد عرفت الساحة الشعرية الجزائرية قبيل الاستقلال وبعده، تجربة شعرية جديدة أملت لها ظروف سياسية وثورية وأدبية، حاولت أن تكسر النموذج الشعري التقليدي آنذاك، وتجاوزته إلى نموذج شعري حداشي يرتقي بشعرية النص، إلى مستوى أدائي وفكري وتعبيري راق. و من بين الأسماء الشعرية التي كان لها حضور خاص في التجربة الشعرية الحديثة (الشاعر محمد الصالح باويّة) من خلال ديوانه "أغنيات نضالية" والذي حاول فيه الخروج على النمط الشعري العمودي السائد ويتمثل بتجربة شعر التفعيلة، متأثرا بتجارب رواد هذا الشعر في المشرق أمثال نازك الملائكة والسياب، بما يتلاءم و رؤيته الشعرية وواقعه الإيديولوجي وانتماءه الجزائري العربي. وقد جسّد الشاعر محمد الصالح باويّة في ديوانه "أغنيات نضالية" التزامه بالتعبير عن حسّه الوطني والثوري، و حسّه القومي.

Résumé

L'expérience poétique moderne a essayé de rompre le modèle traditionnel et le dépasser par un modèle moderne bien hissé et sophistiqué intellectuellement et expressivement. Parmi les célèbres poètes modernes (le poète : **Mohamed Salah Bawia**) à travers son recueil « **Les chants de lutte** », à travers lequel il a essayé de s'échapper du modèle de la poésie en prose qui se caractérise par la prose, il a été influencé par les grands poète de l'Orient comme **Nazik Almaika**. Le poète **Mohamed Salah Bawia** a démontré à travers son recueil de poème « **Les chants de luttés** » son engagement pour exprimer son nationalisme, patriotisme et révolutionnaire.

الحس الوطني والثوري في ديوان "أغنيات نضالية":

يعد التعبير عن الوطن و الثورة أهم المقومات الأساسية التي تشكل خط الرؤية الشعرية في ديوان "أغنيات نضالية" ومعنى الوطن " ليس معنى إقليمي ضيقا فهو يتجاوز حدود البيئـة المحليـة ليشمل كل بقعة تتجلى فيها خصائص هذا الوطن و في هذا الإطار العام تتوحد معاني الوطنية و عناصرها في وجدان الشاعر" 1 ولا شك أن ثورة نوفمبر كانت مفجرا قويا للإبداع ، و أرضية خصبة للشعر الجزائري الذي سائر ظروفها و أحداثها، و عبر عن تطلعاتها و أهدافها، فكان الشعر بمثابة الطلقة التي تدمي صدر العدو و الشرارة التي تلهب المشاعر و تستنهض الهمم، من أجل الثورة على المستعمر وأذنبه.

و هذه الثورة تكاد تكون الموضوع المهيمن لكثير من الدواوين الشعرية و التي حملت عناوين ثورية مثل " اللهب المقدس " لمفدي زكريا و " أغنيات نضالية " لمحمد الصالح باوية و " أطلس المعجزات " لمحمد الصالح خرفي " و " الروابي الحمر " لصالح خباشة" و " ثائر و حب " لأبي القاسم سعد الله و " كهوف مضيئة" لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي، و غيرها من الدواوين الشعرية. و امتد شعر الثورة التحريرية إلى فترة ما بعد الاستقلال، حيث أشاد الشعراء بالثورة و أمجادها ، و ما حققته من تغيير في كافة المستويات و الأصعدة يقول أبو القاسم سعد الله مشيدا ببليلة أول نوفمبر 1954:

كَانَ شَوْقًا، كَانَ لَحْنًا، كَانَ حَلْمًا .

أَنْ تَرَى الْأَرْضَ تَتَوَّر

أَنْ تَرَى الْأَفْيُوقَ نَارًا فِي الْعُيُونِ

غَيْرَ أَنَّ السَّيِّئَةَ الْغَرَاءَ شَفَّتْ عَنْ بَطُولَتِ

وَالنَّدَاءُ الْحَرْقُ قَدْ هَرَّ الرَّجُولَتِ 2 .

فالنداء الحر هو نداء الثورة ،الذي أيقظ النخوة و الرجولة في النفوس ، و فجر مكان البطولة، و حرر القرائح المكبوتة ، و أسال الأقلام الواعدة، و الأشعار الرنانة ، و حقق حلم النصر الواعد. و لا عجب ف"إن الثورة قد ألهمت الشعر كثيرا من الموضوعات التي لم يكن يخوض فيها من قبل، فقد حررته الثورة من قيود الزمن والإشارة و المهادنة و الخوف"3.

و التزام باوية بالتعبير عن الوطن و الثورة التحريرية، كان كغيره من الشعراء الجزائريين الذين واكبوا هذا الحدث الثوري. و قد أهلت قدراته الشعرية و ذائقة الفنية للتعبير عنه ليس تعبيرا تقريريا صحفيا مباشرا، وإنما من خلال شعرية، لا تقتصر على الجانب المعجمي محدود الدلالة، وإنما باستنفاذ ما في الكلمات من طاقة

باستغلال جانبها الجمالي مستثمرا ما تولده من إيقاع وصور وضلال⁴ ولذلك ترجم شعر باوية عن إحساس قوي بالثورة والتزام بها وجعل بعض قصائده تسمو إلى درجة من الرقي والإبداع، والتجربة المتمرسة ومن هذه القصائد "ساعة الصفر"- والتي قصد بها - ساعة الصفر لليلة أول نوفمبر 1954، غير أنه نظمها سنة 1958، أي بعد أربع سنوات من الثورة، بعد أن اختمرت ونضجت واستوت كائنا سويا، فكانت قصيدة مضممة بالإيحاء والتصوير، عميقة الدلالات، قوية التأثير في المتلقي⁵ ومن هذه القصيدة قول باوية :

الْمَدَى وَالصَّمْتُ وَالرَّيْحُ
تَذُرِّي رَهْبَةً الْأَجْيَالِ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَةِ.
قَطَرَاتُ الْعَرَقِ الْبَانِي نِدَاءً
وَسِلَالُ مُثْقَلَاتٍ بِالْحَقِيقَةِ
الْأَسَارِيرُ أَخَادِيدُ مَطِيرَةٍ
ثَوْرَةٌ خَرَسَاءُ،
أَهْوَالُ مُغِيرَةٍ
لَوْ أَنَّ عَمَقَ يَتَحَدَّى فِي جَزِيرَةٍ⁶

وقد ضمت هذه القصيدة "ساعة الصفر" ألفاظا قاموسية مثل: (المدى، الصمت، الريح رهبة، سلال، مثقلات، أسارير، أخاديد، ثورة، خرساء، أهوال، انفجارات، رفاقي، أوراس ..)

وهي ألفاظ تصويرية تحيل على معنى التغيير بالقوة أي الثورة. هذه الثورة الخرساء التي زلزلت ودكت عرش المستعمر وأسقطته من عل. ومن القصائد الثورية كذلك ، قصيدة "أغنية الرفاق" ، وهي قصيدة من الشعر الحر، كلها حماس وثورة ، ورغبة في الانتقام، في ألفاظ نارية قوية، وجرس موسيقي حاد، كما في قول باوية :

يَا رِفَاقِي، يَا رِفَاقِي فِي الدُّرَى، فِي السَّجْنِ فِي الْقُبْرِ وَفِي
آلَامِ جُوعِي
قَهْقَهةُ الْقَيْدِ بَرَجْلِي يَا رِفَاقِي، حَدِّقُوا فَالْتَأَرْ

يَجْتَرُّ ضُلُوعِي
يَا جُنُونَ الثُّورَةِ الْحَمْرَاءِ يَجْتَرُّ كَيَّانِي وَمَعَارَاتِ
رُبُوعِي
أَقْسَمَتِ أُمِّي بِقَيْدِي، بِجُرُوحِي سَوْفَ لَا تَمَسَحُ
مِنْ عَيْنِي دُمُوعِي
أَقْسَمَتِ أَنْ تَمَسَحَ الرَّشَاشَ وَالْمِدْفَعَ وَالْفَأْسَ بِأَحْقَادِ
الْجُمُوعِ
أَنْ أَرَاهَا ضَرْبَةً عَذْرَاءَ تَعْزُو بِسَمَةِ السَّمَاحِ
فِي الْحَقْلِ الْخَصِيبِ 7

والثورة الحمراء، ثورة الدم من أجل التحرر من نير الاحتلال، شاركت فيها المرأة - كذلك - مشاركة بطولية، وهذا من إفرازات الثورة التي جددت للمرأة الجزائرية ثققتها بنفسها، وإيمانها بقضيتها، إلى جانب أخيها الرجل، لأن هذه المرأة " لم تكن موجودة قبل الثورة، ولكن الثورة جعلت منها معجزة، حيث أطلقت هذا العملاق من قمقمه كي يشارك في عملية التغيير في الحياة، وفي صنع التاريخ. لقد كانت القوة الاحتياطية المجهولة التي فاجأت المستعمر، وفاجأت حتى بعض الجزائريين" 8.

وها هو باوية يدعو المرأة إلى المساهمة في العمل الثوري؛ بأن تحطم الأغلال وتمضي لحمل السلاح ضد الطغيان، وبذلك تتحرر، وتكسر حاجز الخوف والذل والرهبة والظلم فتغير من واقعها المزري الذليل، وتحقق وجودها، فيقول:

حَطَمِي الْأَغْلَالَ وَامْضِي لِلْسَّلَاحِ
حَطَمِيهَا ... وَاهْتَفِي مِلْءَ الْأَثِيرِ
يَا طَغَاةَ اشْهَدُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ
حَطَمِيهَا لَمْ تَعُودِي قِطْعَةً مِنْ أَدَوَاتِي أَوْ رُؤَى حُلْمٍ ثَقِيلٍ
حَطَمِيهَا لَمْ تَعُودِي عَبْدَ خَلْجَالٍ وَسَوْطٍ وَدُمُوعٍ وَعَوِيلٍ
لَمْ تَعُودِي خَمْرَةَ الظُّلْمِ أَخْتِي لَمْ تَعُودِي زُفْرَةَ الْكُوخِ الذَّلِيلِ 9.

وفي قصيدة " فدائية من المدينة " جسد الشاعر وصور عملا فدائيا لبطلته متمرسة، قامت بإدخال الرعب على معسكر العدو، فأضحت كرياح هائجة تجتاح أعلى قمم في الجبل فتتسلفها وتحيلها إلى دمار وخراب، فموت:

مَشْبُوهَةً قَالُوا
وَحَقَّ الْجَنَّةُ

مِنْ كَفَّهَا يَفْتَتُ مَوْجُ اللَّعْنَةِ
فِي رَاسِهَا
لُغْمٌ مُبِيدٌ مِنْ جِبَالِ الثَّوْرَةِ
فِي صَدْرِهَا
رِيحٌ تُدَوِّي
مِنْ مَخَابِي الْقَصَبَةِ
لَوْ عَصَفَتْ
تَجْتَاحُ أَعْلَى قِمَّةٍ
فِي رَاسِهَا،
لَوْ تَنَطَّقُ
أَقْدَارُ شَعْبٍ وَبُنُودٌ تَحْفِقُ¹⁰.

وهكذا أثبتت المرأة الجزائرية " الحضور الدائم في قلب النضال منذ الإراصات الأولى للكفاح" 11 كما أثبت المكان كذلك حضوره في الثورة ؛ فالشاعر باوية نظر إلى الثورة على أنها استجابة لنداء هذا المكان ، الذي عانى مما يعاني منه الإنسان وهو القهر والحرمان :

مدفعي يا خَلِجَتِ الشَّعْبِ دَعَانِي جَبَلُ الْأُورَاسِ لِلثَّارِ دَعَانِي
جَبَلِي يَا جَبَلِي هَا هِيَ أَشْلَانِي الْغَامُ حَوَالِيكَ حَوَانِ¹²

وبذلك صار جبل كجبل أوراس " جرحا في أعماق الشاعر، لأنه يتعرض مع الإنسان لمصير واحد وقدر مشترك جراء ما ساطه عليهما الاستعمار" 13 يقول باوية معبرا عن ذلك:

جُرْحُنَا الْخُلَاقُ يَا صَحْبِي وَجُودٌ وَحَقِيقَةٌ
قِصَّةُ السَّاعِدِ وَالزَّئِدِ الْمَدْمَى وَالْهَدَايَا
وَالْمَنَادِيلُ الْأَنِيقَةُ
قِصَّةُ الْعِمْلَاقِ يَمْنَاهُ دِمَاءٌ
وَبَيْسْرَاهُ عَصَافِيرُ رَقِيقَةٍ¹⁴
ويقول أيضا:

هَذِهِ أُورَاسُ أَحْلَامِ ثِقَالٍ فِي رُؤْيِ الْجَلَادِ فِي لَيْلِ الْجُنَاةِ¹⁵.

وانطلاقا من ذلك " أصبحت الثورة محاكاة للمكان الطبيعي، فهو بمثابة مثير والثورة بمثابة استجابة لهذا المثير ومن ثم اكتسب قيمته" 16 ففي قصيدة أعماق لباوية -التي هي عبارة عن حوار في ثلاث مراحل رمزية للإنسان في الجزائر منذ

الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال- تتحدد قيمة المكان كمثير؛ ففي المرحلة الأولى التي سماها الحلقة الضائعة، يبدو المكان سلبيًا أي أن وعي الإنسان لم يتشكل انطلاقًا منه، وعندما يتساءل الشاعر عن هذا الوضع يلتجئ إلى المكان يتأمله وتبدأ حيرته تتبدد، وفي المرحلة الثالثة حين يقرر الانطلاق يكون المكان هو الذي فجرفيه الطاقة، ووجهها صوب المستعمر¹⁷.

وهاهي الأثر الجزائرية المناضلة تقول على لسان محمد الصالح باوية مجسدة دلالة الثورة المنتشرة في كل مكان:

أنا إن غبتُ طويلاً وَصَحَا طفلي وَرَأَيْتُ خَبْرِيهِ أَنْ دَعَانِي
خَبْرِيهِ أَنَّنِي فِي الْكَهْفِ فِي السَّاحَةِ فِي الْحَقْلِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
هَذِهِ رَشَاشَتِي الصَّغْرَى لَطْفُلي، إِنَّهَا قِصَّةٌ قَوْمِي وَكِيَانِي¹⁸.

ومن ثم لم يعد المكان - وقت الثورة - هو المكان الطبيعي الجميل الذي يتغنى به الشعراء وإنما " هو المكان الإيجابي الفاعل في الحياة، وليس المكان السلبي الساكن المسالم، ومن ثم لم يتجرد المكان كحيز هندسي منفصل عن ذات الشاعر"¹⁹. وهذا كله يبين ويدل على مدى تجاوب والتزام الشاعر باوية بالثورة التحريرية المباركة، وغاياتها، فاستطاع " أن يسمو بالثورة، كما استطاعت الثورة أن تسمو بشعره إلى درجة فنية عالية"²⁰.

ب - الحس القومي في ديوان "أغنيات نضالية":

لم يكن الشاعر الجزائري بمعزل " عما يدور في الساحة العربية من أحداث، بل لقد كان ... ولا يزال يعتبر قضايا قطره الكبير هي قضايا الشعب الجزائري"²¹ وأثر اندلاع الثورة أصبح الشاعر الجزائري أكثر من ذي قبل إحساسًا بانتمائه القومي العربي، وكان هذا الانتماء عامل قوة للشخصية الجزائرية، أبعدها عن الذوبان في حضارة الدولة المستعمرة"²².

ولم يختلف شعراء التجربة الجديدة "عمن سبقهم من الشعراء في تسجيل مشاعرهم إزاء الكثير من الأحداث العربية، ولكن طبيعة هذه التجربة تختلف عن تجربة الجيل السابق في كونها لا تحفل بشعر المناسبات كثيرا، وتعنى بتمثيل الحالات النفسية إزاء الأحداث"²³

ومن أبرز القضايا القومية التي تحمس لها الشعراء الجزائريون آنذاك، قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية، والشاعر محمد الصالح باوية أحد هؤلاء الشعراء.

1 - قضية فلسطين:

تعد قضية فلسطين ، إحدى أهم وأبرز القضايا القومية التي انفعل بها الشعراء الجزائريون وأخذت حيزا كبيرا من إنتاجهم ، بدءا من نكبة سنة 1948 مرورا بنكسة سنة 1967 ، ووصولاً إلى وقتنا الحاضر. وهي قضية شعب عربي سليب ، تحت وطأة طغيان واستبداد صهيوني ظالم ، ومن يقف معه. وكأنَّ الشاعر الجزائري كان يدعو إلى الثورة الوطنية من خلال شعره عن فلسطين ، كان يشعر بحاسة الفنان أن وطنه في حالة مخاض سيتولد عنه حدث قد يغير مجرى حياته وحياة الأمة العربية 24 على أن الشعراء الجزائريين وقد قامت ثورة أول نوفمبر 1954 كانوا يعيشون القضيتين معا ، يعيشون جرح فلسطين الدامي وثورة الجزائر ... ولكنهم في الوقت نفسه يتفاءلون بانتصار الجزائريين بعودة فلسطين 25.

وقد جسد الشاعر باوية المأساة الفلسطينية، في قصيدته "الصدى" وهذه القصيدة مؤرخة سنة 1952 م ؛ أي قبيل انطلاق الثورة التحريرية سنة 1954م حيث نستشف في هذه القصيدة نبوءة واستشراف باوية صدى الثورة الجزائرية، هذه الثورة التي سيكون طريقها الألم والدموع والدماء ، وثقل السنين، يقول باوية :

وَتَمْضِي السَّنُونُ

وَأَنِّي أَحْسُ

أَحْسُ الْأَسَى وَحَبِيسَ الْأَلَمِ

تَدْفَقُ ثَوْرًا وَدَمْعًا وَدَمْرَ

فَيَدْنُو الصَّدَى

يَشْقُ السَّيْنِ، يَشْقُ الْمَدَى 26

كما يواصل الشاعر حديثه عن طفلة فلسطينية تختصر عيناها الحزینتان وضعها المأساوي ، ومأساة بلدها من خلال مدن كيافا وحيضا ، اللتان رزحتا تحت أنقاض الدمار سنين عدة، ويزيد من ألم الشاعر وإحباطه، تلك الأسئلة المحيرة التي لا يجد لها جوابا في ظل هاجس الموت والدمار والخوف :

وَتَمْضِي السَّنُونُ

وَأَذْكُرُ يَا طِفْلَتِي الْوَادِعَةَ بَعَيْنَيْكَ أَنتِ ...

بَعَيْنَيْكَ تَرَعِشُ مَاسَاتِيَهْ

وَتَرْفُدُ يَا وَحِيْفًا وَأَصْحَابِيَهْ

بَعَيْنَيْكَ عَمَقُ كَثِيفِ الظَّلَالِ

لَهَيْبٍ يُعْلَفُ أَلْفَ سُؤَالِ

يُطَارِدُنِي
يُصَارِعُ ذُلِّي وَغَطْرَسَتِي
ثَمَرَقُ لَيْلِي
وَتَغْرُو وَجُودِي فِي خَيْمَتِي²⁷

فهذه القصيدة تدل دلالة أكيدة على مدى وعي الشاعر بالقضية الفلسطينية، وإيمانه بها وإدانتته للجرح الفلسطيني النازف، وتعبيرا عن مشاركة الجزائريين إخوانهم الفلسطينيين الرغبة في الانعتاق من نير الاحتلال، وتأكيذا لعمق الرابطة القومية التي تجمعهما، وتحقيقا لروح المقاومة والتصدي، ونشادانا لتحرير الإنسان من العبودية والاستغلال.

وتظل " قضية فلسطين ليست مشكلة قومية على الصعيد العربي، أو أنها مشكلة اجتماعية بالنسبة لأبناء فلسطين، وإنما هي مأساة إنسانية عامة، هي مأساة "العنصرية"، أكبر وصمة عرفها التاريخ الحديث"²⁸.

2. الوحدة العربية بين مصر وسوريا:

بالرغم من انشغال الشاعر الجزائري بالقضية الوطنية إبان الثورة التحريرية، إلا أن هذا لم يمنعه من التعبير عن الانتماء والتعلق المتين بأمتة العربية. وقد مثل هذا " اهتمام الجزائريين بما كان يجري في العالم العربي من أحداث تعكس صدق هذا الارتباط وقوته"²⁹.

وقد عايش التجربة الشعرية الجديدة كذلك هذه الأحداث والقضايا، ومن بين هذه القضايا قضية الوحدة العربية التي تغنى بها الشاعر العربي وهي " ليست مجرد عاطفة يتغنى بها في مناسبة من المناسبات ... وإنما هي عقيدة تتكرر باستمرار وتلج عليه وعلى نفسه"³⁰.

ولقد هزت أفراح الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958م الشاعر باويته فنظم قصيدته "الإنسان الكبير" معبرا عن فرحته بهذه المرحلة التاريخية الجديدة، في مسار القومية العربية وفيها يقول:

قَالَ شَعْبِي يَوْمَ وَحَدَّنَا الْمَصِيرُ

أَنَا إِنْسَانٌ كَبِيرٌ

يَا جِرَاحِي

أَوْقِفِي التَّارِيخَ، إِنَّهُ نَبُعُ تَارِيخٍ جَدِيدٍ

أَوْقِفِي التَّارِيخَ يَجْنِي غَلَّتِي عَبْرَ دِمَشْقَ وَالصَّعِيدِ³¹

وبحكم الروابط والوشائج التي تجمع بين أبناء الأمة العربية ، فإن الشاعر
باوية يدعو إلى تحطيم الحدود والفواصل الوهمية التي أقامها الاستعمار، للتفريق بين
أبناء الأمة الواحدة، ولن يكون ذلك إلا بالثورة التي تعصف بالطغاة وأذئابهم، فتجثهم
من جذورهم ، وبذلك يتحقق النصر الأكيد المشرق ، وفي ذلك يقول باوية:

يَا زَعَارِيدُ اعْصِفِي
يَا هُمَاتَاتِ اقْصِفِي
مَرَّقِي طَيْفَ الْحُدُودِ اللَّاهُتَاتِ
طُوفِي فِي الثَّاقِبِ
طِيرِي
حَطِّمِيهِ
حَطِّمِي حُلْمَ الطُّغَاةِ الْمُرْهَقِ
خَضِّبِي الْإِنْسَانَ وَالْأَعْشَابَ بِالنَّصْرِ الْخَضِيبِ
الْمُشْرِقِ³²

وهذا دلالة على مباركة الشاعر بهذا الطموح العربي للوحدة، وأمله باتساع
رقعتها لتحقيق وحدة العرب الكبرى، وهذا يدل كذلك "على مدى تفتح الشاعر
الجزائري ووعيه الانساني وأنه حين يتحمس وينفعل بالقضايا العربية، ويشيد بالعروبة
في ماضيها وحاضرها، لا يصدر في ذلك عن تعصب أو روح عنصرية، إنما يصدر عن روح
قومية أصيلة، وحس إنساني عميق"³³

3 - أزمة قناة السويس:

في تاريخ 29 أكتوبر من سنة 1956 حدث اعتداء مسلح على مصر شاركت فيه
كل من بريطانيا وإسرائيل وفرنسا بما يسمى العدوان الثلاثي على مصر التي كانت
آنذاك تحت رئاسة جمال عبد الناصر - أحد رافعي لواء القومية العربية آنذاك - وأحد
المناهضين للاستعمار والامبريالية العالمية والصهيونية، والذي قام بتأميم قناة السويس
يوم 26 جويلية 1956 فأثار هذا ثائرة الدول الغربية المذكورة سابقا فكان هذا
الاعتداء بمثابة إنذار شديد للهجة إلى سياسة جمال عبد الناصر الرامية إلى التخلص
من التبعية الأجنبية وتحقيق الاستقلال الاقتصادي للقناة ، وقد استنفر هذا العدوان
الأمة العربية، والأمم الحرة لأنه يجسد ظلم وتحالف قوى البغي على دولة في إطار
النمو الاقتصادي، و السياسي .

وتجاوب الشعراء و الأدباء مع الأحرار من أبناء مصر، الذين هبوا للدفاع عن القناة
لأنها دفاع عن كرامتهم وقوميتهم . وقد أدان باوية هذا العدوان السافر بلغة مشفوعة

بالتحدي والاعتزاز فلن تستطيع - حسب - أي قوة، أو عدوان - مهما كان مصدره، ومهما قويت عدته وعتاده - السيطرة على القناة، والوقوف في وجه إعصار الثورة والتحدي. كما أهاب الشاعر بأبناء مصر أن يتحلوا بالصمود والتحدي والثبات في قضيتهم؛ لأن كرامتهم من كرامة أمتهم، وذلك في قصيدة " التحدي " وفيها يقول:

أَتَحَدَّى ...أَتَحَدَّى بِرَمَانِي بِوُجُودِي فِي قَنَاتِي
أَتَحَدَّى
قُوَّةَ الْجَبَّارِ فِي الْأَرْضِ فِي الْجَوِّ فِي الْبَحْرِ وَأَيَّانَ
اسْتَبَدَّ
لَا وَعِيدًا، لَا حَدِيدًا لَا جَبُوشًا ثَوَقِفَ الْإِعْصَارَ
وَالْتَصَرَ الْمُفْدَى³⁴.

ويتم الصمود و الانتصار في معركة القناة ، فتبقى هذه القناة رمزا للضياء ، والعطاء العربي المتجدد ، وفي ذلك يقول باوية :
يَا قَنَاتِي مِنْحَةَ الْإِنْسَانِ جِدِّي، أَنْتِ
لِلْإِنْسَانِ بِنَاءَ الْحَيَاةِ
سَوْفَ تَبْقَيْنَ عَطَاءً عَرَبِيًّا
رَاعِفَ الْغُلَاتِ فِي بُبْضِ الْحَيَاةِ³⁵.

ويتضح - مما سبق - أن الشاعر محمد الصالح باوية، من الشعراء الذين لم ينعزلوا عن الواقع الذي عاشه المجتمع العربي ، أو القضايا التي تعيشها الشعوب المضطهدة، فبرهنوا بذلك على التزامهم بالقضايا القومية والإنسانية، كما التزموا بقضايا وطنهم طيلة أكثر من نصف قرن ..واكبوا الأحداث وعبروا عنها بمستوياتها المختلفة ، وحسب تجاربهم المتنوعة ونظرة كل منهم إلى هذه القضايا من خلال فهمه ووعيه بها وأداته التي يعبر بها³⁶ .

والالتزام الشعراء بقضايا أمتهم لا ينقص من قيمة العمل الفني لأن " الموقف الإيديولوجي وحده لا يصنع العمل الفني، وكذلك يفقد العمل الفني وزنه حينما يخلو من موقف"³⁷ و لأن " كل شاعر يختار موقعه داخل الإطار الثوري لعصره ومجتمعه، وكل شاعر يتحرك داخل هذا الإطار، وهذه العلاقة الدينامكية بين الشعر والإطار العام للحياة ، هي ما يؤكد مرة أخرى ثورية الشعر المعاصر"³⁸ هذه " الثورة التي لا تجعل من الشعر ظلا باهتا، ولا من الشاعر تابعا وإنما من الشعر مشاركة إيجابية فعالة، ومن الشاعر ثائرا يتجاوز ذاته واللحظة العابرة، إلى ثورة الإنسان و الحضارة في معركتها التي لا تنتهي مع التاريخ"³⁹.

الهوامش:

- 1- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، موفر للنشر، الجزائر، ط2، 2008، ص 15.
- 2- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص180.
- 3- المصدر نفسه، ص75، 76.
- 4- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) دار الغرب الاسلامي بيروت، ط1، 1985، ص277.
- 5- فاتح علاق، في تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير، الجزائر، ط2، 2008، ص42.
- 6- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص 49.
- 7- المصدر نفسه، ص41
- 8- محمد الصالح باويّة، الشعر الجزائري في الخمسينيات، مجلة الثقافة السورية، آب، 1979، ص 2، نقلا عن:
الوناس شعباني تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط، 1988، ص105.
- 9- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص33
- 10- المصدر نفسه، ص81
- 11- عمريوسف قادري، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، دط دت، ص227.
- 12- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص34
- 13- أحمد حيدوش، المكان ودلالته في الشعر الجزائري إبان الثورة التحريرية، (1954، 1962)، مجلة الموسم الأدبي، معهد الأدب واللغة، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد الثالث، أكتوبر، 1987، ص05.
- 14- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص34.
- 15- المصدر نفسه، ص41.
- 16- أحمد حيدوش، المكان ودلالته في الشعر الجزائري إبان الثورة التحريرية، ص15.
- 17- ينظر، المرجع نفسه، ص15.
- 18- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص34
- 19- أحمد حيدوش، المكان ودلالته في الشعر الجزائري إبان الثورة التحريرية، ص 16
- 20- فاتح علاق، في تحليل الخطاب الشعري، ص 37
- 21- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ص56
- 22- شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص 115
- 23- المرجع نفسه، ص116.

- 24- عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 1983، ص69.
- 25- المرجع نفسه ، ص74
- 26- محمد الصالح باويّة، أغنيات نضالية، ص37
- 27- المصدر نفسه ، ص38.
- 28- غالي شكري، شعرنا الحديث إلى أين؟ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978، ص 81
- 29- شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحرفي الجزائري، ص 115.
- 30- عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص30.
- 31- محمد الصالح باويّة ، أغنيات نضالية ، ص57
- 32- المصدر نفسه ، ص45.
- 33- عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص126
- 34- محمد الصالح باويّة ، أغنيات نضالية، ص45.
- 35- المصدر نفسه، ص46.
- 36- عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص141.
- 37- عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر، قضايا و ظواهره الفنية و المعنوية، ص 381.
- 38- المرجع نفسه، ص 399 .
- 39- غالي شكري، شعرنا الحديث إلى أين؟ ص76.